Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القصيدة وإن لم يولد بها شرارة السخرية ، بل تختلف وظيفتها جوهريا ، إذ تؤدى حينئذ إلى تعميق الوعى بتفاصيل المشهد الدقيقة وشرح خلفياته ، نتيجة لأن التعليق لا يأتى مضادا لما قبله بل متمما له ، ويمثل التفاوت بين الجهر والهمس فى الجزء الأول تعديل الموقف من التاريخ وكشف القناع عن عبادة الأسلاف الزائفة : -

أترك لكم أن تحصوا عدد القتلى

فى وقعة حطين

أترك لكم أن تحصوا طعنات الرمح

فى صدر السيف المسلول

(يلعنكم هذا النائم فى ظاهر حمص

أو فى ظهر صلاح الدين

(يلعنكم هذا النائم - رغم إرادته - فى أفواه الكذابين)

ثم تأتى حركة الاستدراك لتقدم ببساطة أفدح شعور وقع الإنسان العربى الحساس تحت وطأته بعد النكسة ، ولا يتقولب هذا الشعور مثلا فى مقولة " العار " التى تشير إلى منظومة من القيم الاجتماعية تغرى الشاعر بتحديها وكسر سلمها ، ولكن شعور " الخجل" نفس فردى حميم ينقل مجال الصراع إلى داخل الإنسان عندما تستحيل الهزيمة إلى انكسار شخصى خاص لكل منا ، وهذا ما يختاره الشاعر فى تمثيله لأكثر المواقف تلقائية وطبيعية ، فيجسد كيفية انسحاقه تحت وطأته . ولما أمعن فى ذكر التفاصيل الصغيرة واللفتات الواقعية المثيرة جعل يغرس أظافره فى لحم القارىء ويوقد ذروة شعوره ، فليس هو الخجل الرومانسى العذب الذى تتحلى به العذارى مثلا ، لكنه خجل الرجال عندما يمس الأمر رجولتهم وينكسون رؤوسهم أمام رفاقهم ، أجل أمام رفاقهم على وجه التحديد ، فالإنسان يستطيع أن يجد مهربا عندما يصطدم بمن هو أعلى أو أدنى منه ، يلقى التبعة على فوارق السن أو الطبقة أو القيم أو الظروف ، أو يخرج من المأزق بمجرد هز كتفه ، لكن أمام رفاقه لاسبيل إلى التبرير أو التملص ، وهنا يتجلى الشاعر المدرك لوظيفته فى